المجلد: 17 العدد: 02/ مارس 2022
ص: 281 - 291
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

سيميائية العنوان في رواية " الآن ... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى " لعبد الرحمن منيف.

The semiotic title in the novel "Now ... here or the Eastern Mediterranean Again" by Abdel-Rahman Munif

د. عبد الله تـوام*
جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف. (الجزائر)
.abdallah_touam31@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/31 تاريخ القبول:2021/11/04 تاريخ النشر: 2022/03/28

ملخص : يعدّ **العنوان** من المكونات الشكلية المساهمة في هندسة النص الأدبي، ويدخل ضمن العناصر المكونة لفضائه الخارجي، ودراسته ليست ترفا نقديا، بل تعتبر خطوة مهمة في تحليل الخطاب الأدبي لاستكناه مقصديته. فالعنوان يشكل مفتاح النص، وله دور بالغ الأهمية في التعريف به، ومنحه دلالات إضائية تشرح رؤية المبدع وتدعم الحس القرائي لدى المتلقي. ولقد أولت الدراسات الأدبية والنقدية عناية كبيرة **للعنوان** كونه ظاهرة فنية وثقافية، فهو جزء لا يتجزأ من الكلية النصية، له وظائف بنيوية بالنسبة لهيكل النص الخارجي وأخرى دلالية في علاقته بالمادة الحكائية. وقد كان الروائيون العرب فنانين تشكيليين، في رسمهم لعناوين رواياتهم، إذ تخيّروا ألفاظها بوعي وحرص كبيرين محمّلين إيّاها طاقة رمزية وحمولة تعبيرية عالية التركيز، تشدّ القارئ وتحفزه على قراءة النص قصد كشف دلالاته، وجمالياته وقيمه الفنية.

أمّا **القراءة السيميائية** فتنظر إلى **العنوان** بوصفه عنصرا جوهريا في تأسيس حركية النص، كونه يشكّل عتبة النص التي يمكن أن نلج من خلالها عالمه. فالنص بلا عنوان فاقد للهوية، والعنوان للنص كالإسم للشيء، به يعرف، وبفضله يتداول، ويساهم في هندسته، **فهي** أداة لتلمّس مقاصد النص الأدبي وفكّ رموزه وعلاماته، وإدراك الفعل التعبيري فيه، وكشف أبعاده الدلالية، من خلال الكشف عن طبيعة العملية الإبداعية التي تنظمها ثلاثة عناصر: المبدع، النص والمتلقي، ويضاف إليها الموضوع الذي يعمل التخييل على نقله للمتلقين، وبالتالي عمق الوعي النقدي لدى القارئ. وهذا ما سنستشفه من خلال **قراءتنا السيميائية** لعنوان رواية: **" الآن ... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى " لعبد الرحمن منيف**، لما يزخر به هذا النص السردي العربي من جماليات وقيم فنية.

الكلمات المفتاحية : العنوان; النص الأدبي; القراءة السيميائية; الدلالة; سيميائية العنوان; رواية الآن...هنا لعبد الرحمن منيف.

ABSTRACT : The title is one of the formal components that contribute to the engineering of the literary text, and it is included in the constituent elements of its external space, and studying it is not a critical luxury, but rather an important step in the analysis of literary discourse due to its intent. The title is the key to the text, and it has a very important role in defining it, and giving it

* المؤلف المرسل

illuminating connotations that explain the creator's vision and support the reading sense of the recipient. Literary and critical studies have given great attention to the title, as it is an artistic and cultural phenomenon, as it is an integral part of the textual college, with structural functions in relation to the external structure of the text and other indicative in its relationship to the narrative material. Arab novelists were plastic artists in their drawing of the titles of their novels, as they chose their words with great awareness and care, carrying them with a symbolic energy and a highly focused expressive load that pulled the reader and motivated him to read the text in order to reveal its connotations, aesthetics and artistic values. As for semiotic reading, it looks at the title as an essential element in establishing the kinetic text of the text, as it constitutes the threshold of the text through which we can enter its world. The text without a title lacks identity, and the title of the text is like the name of a thing, with it it is known, thanks to it it circulates, and contributes to its engineering. Elements: the creator, the text and the recipient, to which is added the subject that the fiction works to convey to the recipients, and thus the depth of critical awareness of the reader. This is what we will discover through our semiotic reading of the novel's title : "Now ... here or the Eastern Mediterranean again" by Abd al-Rahman Munif, because of the aesthetics and artistic values that this Arabic narrative text abounds in.
Mots clés : le titre ; le texte littéraire ; la lecture sémiotique ; la connotation ; le sémiotisme du titre ; le roman maintenant ... ici pour Abdul Rahman Munif.

1ـ مقدمة:

لا يتحقق وجود النص الأدبي إلاّ بعملية القراءة، كفعالية أساسية. والقراءة في نظر بارت"عملية تقرير مصير بالنسبة للنصّ "[1]. ويرى عبد الله الغذامي أنّ قراءة النص الأدبي هي قراءة للواقع، من سياق معيّن بطريقة لغوية تجعل القارئ ينظر إلى الواقع أنه أثر يبحث عنه من خلال متغيرات، حيث عرّف القراءة أنّها " عملية دخول إلى السياق، وهي محاولة تصنيف النص في سياق يتمثله مع أمثاله من النصوص "[2]. وكلّ قراءة للنصّ هي تفسير وتأويل له من وجهة نظر معينة. هذا يتطلب أربعة عناصر: الفعالية، الخلق، المعاني، والإنتاج، أي التفاعل بين فعل القول وفعل التلقي والتأويل، أمَّا الدلالة فهي ما يفهمه القارئ من النص، والقراءة السيميائية فكّ الرمز في العلامة وإدراك الفعل التعبيري وتلمّس لمقاصده[3]. إذ تتوالد الأفكار، وتكتشف أبعاد النص الدلالية، من خلال الكشف عن طبيعة العملية الإبداعية التي تنظمها ثلاثة عناصر: المبدع، النص والمتلقي، ويضاف إليها الموضوع الذي يعمل التخييل على نقله للمتلقين، وبالتالي عمق الوعي النقدي لدى القارئ.

أمّا دراستنا في هذه الورقة البحثية فنركّزها على بعض المكونات الشكلية المساهمة في هندسة النص أهمّها: **العنوان**، والذي يدخل ضمن العناصر المكونة للفضاء الخارجي في الخطاب الروائي، ودراسته ليست ترفا نقديا، بل تعتبر خطوة مهمة في تحليل الخطاب الروائي لاستكناه مقصديته. فالعنوان يشكل مفتاح الرواية، وله دور بالغ الأهمية في التعريف بالنص الروائي، ومنحه دلالات كشفية تشرح رؤية الروائي وتدعم الحس القرائي لدى المتلقي.

ولقد أولت الدراسات الأدبية والنقدية عناية كبيرة **للعنوان** كونه ظاهرة فنية وثقافية، فهو جزء لا يتجزأ من الكلية النصية، له وظائف بنيوية بالنسبة لهيكل النص الخارجي وأخرى دلالية في علاقته بالمادة الحكائية، فصار درسه يساعد على فهم خصوصيات النص الأدبي وتحديد مقاصده الدلالية.

فهل العنوان كاف لاستكناه دلالات ومقصدية رواية " الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى " ؟ وهل دلالاته إضاءة شارحة لمضمون هذه الرواية العربية المعاصرة ؟

2 ـ مفهوم العنوان :

لم يتوسع مفهوم النص بالمعنى الحقيقي له، إلاّ بعد دراسة ووعي مختلف جزئياته وتفاصيله، ومنها عتباته، خاصة العنوان الذي شغلت دراسته حيزا كبيرا في الدرس النقدي المعاصر، لحمولته الدلالية المتنوعة ولأهميته في عملية التلقي، ولموقعه الاستراتيجي كونه يعتبر البوابة أو المدخل الأساسي لقراءة النص الأدبي، ولما له من علاقات جمالية ووظيفية مع النص، بوصفه فعلا من أفعال الكتابة وإنتاجا لها وحدثا قصديا في إخراج العلامة التي تتحرك وفق استراتيجية قصدية من المرسل إلى المتلقي لتبليغ مقصديات متنوعة [4].

ويعد **جيرار جينات (Gérard Genette)** من المهتمين بعلم العنونة، فقد وضع مصنفا بعنوان عتبات (Seuil) عام 1987 حاول من خلاله دراسة العتبات النصية بما فيها العنوان، مشيرا إلى صعوبة تعريفه، فهو يطرح أكثر من تعريف له، قائلا: " ربما كان التعريف نفسه للعنوان يطرح أكثر من أي عنصر آخر للنص الموازي بعض القضايا ويتطلب مجهودا في التحليل "[5]، فالعنوان له حمولة معرفية مكثفة، تتطلب معرفة ووعيا وتركيزا كبيرا وقدرات متميزة لتحليله وإدراك دلالاته والكشف عن المعاني المخبوءة فيه.

فالعنوان بمظهره الخارجي وطبيعته اللغوية ووظائفه التي يؤديها، فهو يدل على وضعية لغوية تتميّز بالإيجاز والاختصار، لما يتطلب كفاءة عالية في التلقي والقراءة للكشف عن دلالاته وإدراكها. يقول جميل حمداوي : " العنوان بمثابة رأس الجسد والنص تمطيط له، وتحوير إمّا بالزيادة أو الاستبدال أو النقصان أو التحويل "[6]. ويعرفه خالد حسين حسين أنّه: " علامة لغوية تتموقع في واجهة النص لتؤدي مجموعة وظائف تخص أنطولوجية النص ومحتواه، وتداوليته في إطار سوسيو ثقافي "[7].

أمّا محمد فكري الجزار فيرى أنّ العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول ويشار به إليه، ويدل به عليه، يحمل وسم كتابه، وفي الوقت نفسه يسمه، فهو يحمل وسمه لكي يدل عليه، وهذا التعريف الأولي له لا يختلف في اللغة العامة عنه في اللغة المعرفية، المسماة اصطلاحية، ودونما فارق واحد بينهما، والعنوان ضرورة كتابية، هكذا لغوياً وهكذا اصطلاحياً كذلك[8].

3 ـ أهمية العنوان في النص الأدبي :

يعدّ **العنوان** من أهم الأسس التي يرتكز عليها النص الأدبي، وهو من المكونات الشكلية المساهمة في هندسته، ويدخل ضمن العناصر المكونة لفضائه الخارجي، فالعنوان هو الذي يسم النص ويعينه ويؤكده ويعلن مشروعيته القرائية، ويحقق اتساقه وانسجامه، ويزيل عنه الغموض والابهام[9]، ودراسته ليست ترفا نقديا، بل تعتبر خطوة مهمة في تحليل الخطاب الأدبي واستكناه مقصديته. فالعنوان يشكل مفتاح النص،

وله دور بالغ الأهمية في التعريف به، ومنحه دلالات إضائية تشرح رؤية المبدع وتدعم الحس القرائي لدى المتلقي. إذ تساعدنا دراسته على الدخول إلى النص من خلال علاقته بالسياقات النصية في بنياته العميقة المتبدية من خلال الثنائيات الضدية، حيث لا يمكننا تحديد دلالة هذا التنظيم الاسمي إلاّ إذا ربطناه بالعناصر التي يقيم معها علاقات ضمن السياق النصي، فيقول أبو هلال العسكري في كتابه (الصناعتين): « أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنّهن من دلائل البيان »[10]، وقد اهتم به السيميائيون اهتماما واسعا لكونه « نظاما سيميائيا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شفرته الرامزة »[11]. وسيميائياته تنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن يوازي أعلى فعالية تلق ممكنة، تغري الباحث والناقد بتتبع دلالاته، مستثمراً ما تيسّر من منجزات التأويل، وتنبع من كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي ممكن، ممّا يدفع إلى استثمار منجزات التأويل، كما يشكل العنوان أول اتصال نوعي بين المرسل والمتلقي.

ودراسة العنوان بلغت اهتماما كبيرا إلى درجة أنّه أصبح علما قائما بذاته يسمى علم العنونة (**Titrologie**)، يدخل في عملية التأسيس الخطابي للنصوص الأدبية، خاصة السردية منها، لهذا فالعنوان السردي يلعب دورا بارزا في لفت انتباه المتلقي لرسالته، وهو العنوان المفتوح على دلالات هلامية متعددة لرؤى المثقفين، وقد فطن المبدع العربي إلى أهمية العنوان، وأدرك وظائفه من خلال طريقة إخراجه، ومراعاة مقتضى الحال للمتلقين لهذا الإبداع الذي يعكس قراءتهم، فالعنوان حسب الدراسات النقدية الحديثة يؤدي دور المنبه والمحرض، فسلطته الطاغية تضفي بظلالها على النص، فيستحيل النص جسدا مستباحا لسلطته، ثمّ إنّه نقطة الوصل بين طرفي الرسالة: ممثلة في ثنائية المبدع والمستقبل، إذ إنّه يعدّ بداية اللذة...لذلك كان لزاما على المبدع أن يراعي فنيات العنونة، ليجعل من العنوان مصطلحا إجرائيا في المقاربات النصية، للولوج إلى أغوار النصوص واستنطاقها من خلاله[12]. والعنوان الروائي يندرج ضمن التحولات في المنظور الروائي ومجال الكتابة عموماً، لتملّكه لمجموعة شروط منها الاختصار والوضوح، ثم الاشتمال، أي تكثيف المعنى في كلمات معدودة مع تذييله بعنوان فرعي مكمل، يضفي التشويق على الإثارة، وهو شيء أساسي لتحرير النص من العزلة، وتمتيعه بقراء يساهمون في إنتاج معناه[13].

العناوين المعاصرة مليئة بالغموض، وهي تحتمل تأويلات كثيرة، فيها نصيب من الخيال، وقد يقول العنوان شيئاً ويقول النص شيئاً آخر، وقد يمثل العنوان معنى حقيقياً، وقد يمثل معنى مجازياً، وبهذا يكون العنوان مفسراً للرواية وهي مفسرة له، وقد لا يتحقق ذلك إلاّ بهما في آن واحد.

4- القراءة السيميائية للعنوان في رواية "الآن ... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى " :

ينظر السيميائيون إلى **العنوان** بوصفه عنصرا جوهريا في تأسيس حركية النص، فالعنونة هي أولى المراحل التي يقف عليها القارئ السيميولوجي لاستنطاق النص والكشف عن نواميسه، فهي عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص[14]، كونه يشكّل عتبة النص التي يمكن أن نلج من

خلالها عالمه. فالنص بلا عنوان فاقد للهوية، والعنوان للنص « كالإسم للشيء، به يعرف، وبفضله يتداول، ويؤسس سياقا دلاليا يهيّء المتلقي لاستقبال العمل »[15]، فهما يشكلان معا زاوية نظر بالنسبة للمتلقي، « إذ بدون نص يكون العنوان وحده عاجزا عن تكوين محيطه الدلالي، وبدون العنوان يكون النص باستمرار عرضة للذوبان في نصوص أخرى »[16]. فلا يمكن أن يتحقق المعنى المنشود للعنوان أو النص إلاّ من خلال العلاقة الجدية التي تجمع بينهما.

وقد كان الروائي فنانا تشكيليا، إذ نجد تلاحماً قوياً بين رسمه للعناوين الداخلية والنص الأدبي، ممّا أحدث جمالية في **رسم العنوان**، الذي يبدو أنّه تخيّر لفظه بوعي وحرص كبيرين محمّلا إيّاه طاقة رمزية وحمولة تعبيرية عالية التركيز، ممّا يشدّ القارئ ويحفزه على قراءة النص قصد كشف دلالاته، وبذلك يكون جسرا رابطا وممّرا للنص، فلننظر كيف استطاع هذا العنوان الفني المكون من طرفين متعاطفين - الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى - أن يؤدي مقصدية النص .**أمّا** العلاقة البنائية التي تربط العنوان الرئيسي بالعناوين الداخلية الفرعية الداخلية: الدهليز، حرائق الحضور والغياب وهوامش أيّمنا الحزينة، فكلاهما يكمل الآخر في « علاقة تكاملية ترابطية : الأول يعلن، والثاني يفسر »[17]. ومعنى هذا أنّ العنوان الرئيسي لا يمكنه أن يكوّن فضاء دلاليا بمعزل عن العنوان الفرعي الكامن في المتن، وكلاهما لا يشكل وحدة مضمونية تدلّ عن المغزى العام للرواية بمعزل عن النص، فيغدو علامة سيميائية تمارس التدليل وتتموقع على الحد الفاصل بين النص وعوالمه، ليصبح معبرا استراتيجيا يعبر منه النص إلى العالم، والعالم إلى النص، لتنتفي الحدود الفاصلة بينهما، ويجتاح كل منهما الآخر دون قيد أو شرط، وعادة ما يكتب العنوان الرئيسي بأحرف كبيرة دالة على أهميتهن أمّا العنوان الفرعي فإنّه يكتب بأحرف صغيرة، لأنّه عبارة عن تتمة تلحق بالعنوان الرئيسي تؤدي وظيفة تأويلية للعنوان الرئيسي، ووظيفة إعلامية تخص مضمون النص وتكسبه شرعيته[18]، ولذلك اعتبر الجزار محمد فكري العنوان الفرعيبنية موازية لبنية العنوان الرئيسي وضرورية له، لوقوعهما في دائرة دلالية واحدة رغم الاختلاف التركيبي بين مفرداتهما[19].

وبهذا تكون قراءتنا « ضمن هذه الحيرة المنبثة بين حنايا العنوان، دليل على أدبية الأدب، لأنّ المبدع الذكي هو من يجعل قارئه يقرأ بحدسه أشياء غير حاصلة، ولكنها ممكنة الحصول ما دامت ليس ضربا من المستحيل »[20]. أمّا قراءتنا **لعنوان رواية " الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى "** ما هي إلاّ قراءة أولية، ويبقى العنوان في مجمله قابلا لعدّة تأويلات تخضع لقراءة النص، وتحديد تأويلاته عن طريق فهم وقراءة العلاقات والمفارقات المعنوية القائمة فيه .

فوردت كلمة " **شرق** " معرفة بالإضافة، إذ اقتضت وجود مضاف إليه يعرفها ويعطيها عنوانا يمكن أن يستلهم بداية المعنى الذي ذكرناه سابقا، من أنّ الأيام المذكورة هي الشديدة والصعبة في حياة عادل بطل الرواية وساردها، إذ تحمل تاريخا لآلامه وهو يتنقل من سجن إلى آخر بشرق المتوسط.

وبما أنّ فضاء الرواية يحمل آلام **عادل الخالدي**، فإنّ الكاتب اختار لها عنوانا يتوافق وأحداثها لإخراجها إلى العالم الآخر، لأن الأيّام بطبيعتها إيغال في الماضي القريب والبعيد، إلاّ أنّ لفظتي: **الآن...هنا**، توقف زمن الخطاب في الرواية، وتصبح بذلك رغم أنّها ذكريات ماضية فهي توحي وكأنّه سرد حاضر.

عنوان الرواية: " **الآن ...هنا أو شرق المتوسط** " دال مركزي على امتداد المتن الروائي الذي يقارب ست مائة صفحة (574 ص)، إذ فرض وجوده بواسطة حضوره **اللفظي والوظيفي**، حيث تموقع في الرواية وفي كل الاتجاهات فتدور كل الأحداث والواقع في فلكه، منطلقة منه وعائدة إليه، " فهو إذن المنارة التي تضيء فضاء النص وتقود القارئ إلى فك رموزه وكشف غموضه باعتباره علامة دالة "[21]، وعليه فإن العنوان كعلامة تشير إلى النص يصبح أشبه بالهوية أو اللافتة الإشهارية[22].

أمّا قراءة عنوان **رواية الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى**، لما تحيط به مكوناته من دلالات ورمزية وبلاغة ـ خاصة الحذف الذي جاء بين لفظتي: **الآن ...هنا** ـ فإنّها تحيلنا إلى الكشف عن أشياء مندسة في متن الرواية نصطلح عليها ما يسمى **بالمنظور الروائي** أو **الرؤية السردية**. وعنوان رواية الحال يتكوّن من قسمين اثنين: الأول **"الآن...هنا"**، والثاني **"شرق المتوسط مرة أخرى"**، الأوّل يتكون من مكونين اثنين: **"الآن"** وهو مكون زماني، و**"هنا"** مكون مكاني، وبين الكلمتين توجد نقاط "..." لتدلّ على أن أحداثاً كثيرة ووقائع أليمة بين " **الآن** " و" **هنا** ".

فالعنوان مكوّن من طرفين متعاطفين: الأول مكون من ظرفين: " **الآن** " وهو ظرف زمان، و" **هنا** " وهو ظرف مكان، وهذان الظرفان، يوحيان بجملة من التساؤلات والاحتمالات أشهرها: **ماذا يحدث الآن؟ وماذا يوجد هنا؟**، أمّا الثاني فيتكون من **"شرق"** وهو مكون مكاني، و**"المتوسط"** وهو مكون مكاني أيضاً، و**"مرة أخرى"** تقودنا إلى رواية منيف الأولى: **"شرق المتوسط"**، فما كتبه في روايته الأولى، يعود إليه من جديد ليكتب عن العالم نفسه، بعد مضي عشرين عاماً، أما الثاني فهو مكوّن من شرق المتوسط مرة أخرى ويعطف الأول على الثاني "شرق المتوسط مرة أخرى" الذي يذكرنا بعنوان شرق المتوسط الذي عنون نصاً حكائياً امتلأ محتواه بظلم السلطة الحاكمة في ما من بلدان شرق المتوسط بحق الأحرار والسياسيين الثوريين، ويتبلور معنى هذا العنوان بطرفيه المتعاطفين وبخاصة الفترة الزمنية الممتدة بين **"شرق المتوسط"** وبين **"الآن...هنا"** أو **"شرق المتوسط مرة أخرى"** إذ بلغت ست عشرة سنة.

أمّا العناوين الداخلية: الدهليز، حرائق الحضور والغياب وهوامش أيّامنا الحزينة فلها دلالاتها كذلك من خلال المنظور الروائي:

القسم الأوّل المعنون بـ" **الدهليز**"، العنوان الداخلي الأول هو مكوّن مكاني، يشير الى المكان المظلم، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسجن، حيث وصفه عادل الخالدي أنّه لا يطاق، فليس هذا المكان إلاّ مكانا وحشيا لقمع السجناء وتعذيبهم وهو مستنقع مليء بالدماء، وهو جزء من سجون شرق المتوسط التي تعجّ بالدهاليز، أمّا **"حرائق الحضور والغياب"** فهو العنوان الداخلي الثاني الذي يشير إلى مكونات حدثية تدلّ على الأحداث

التي وقعت **لعادل** ، و**"هوامش أيامنا الحزينة"** فإنّه يشير إلى وصف زمني للأيام التي عاشها عادل و هو يتنقل من سجن إلى آخر ومن مستشفى إلى آخر.

فقد جاء على لسان **عادل الخالدي** في القسم الأول من الرواية المعنون بـ**" الدهليز"**: " أصابني الغم إلى درجة أن الدنيا أسودّت بعيني، وأخذت نبضات قلبي تدق بصوت عالٍ، وهذه إشارة أعرفها، فلن تلبث حرارتي أن ترتفع، وأدخل في ذلك **الدهليز** الذي جهدت طوال الشهور الماضية لكي أخرج منه "[23].

وفي القسم الثاني من الرواية المعنون بـ **"حرائق الحضور والغياب"**، لا نجد في هذا القسم إشارة للعنوان الداخلي المعنون به، بل نجد إشارات للعنوان الداخلي الأول، حيث يروي طالع العريفي:" في صدر القفص دورة المياه، والتي لا تكف عن نفث رائحة قاسية، وتصدر عنها أصوات كأنها التجشؤ لارتباطها بدورات المياه في الزنزانات الأخرى، وأيضاً لارتباطها بالدورات العامة، وراء الجدار، حيث يشكل الجدار نهاية الدهليز "[24]، و "ساقني بصمت، عبر الدهليز، لم أوت، أرى من تحت العصابة، واتجاه الأسفل، إلاّ مواضع أقدامنا، كانت أرضية الدهليز زرقاء قاتمة أو خضراء "[25].

فالعنوان الداخلي الثاني لا يمثل معنىً مادياً حقيقياً، فليس في القسم الثاني من الرواية ما يدلّ على وجود حرائق بالمعنى الحقيقي، والمقصود من هذا العنوان المعاناة التي عايشها عادل الخالدي وغيره في السجون وخاصة سجن العبيد، متذكراً ما حدث معه في السجون، والممارسات الوحشية التي مورست عليه وعلى غيره خاصة هلال الذي اغتيل في السجن. إنّ حرائق الحضور والغياب هي ذكريات تعصف في رأس عادل الخالدي، وهذه الذكريات الأليمة أشبه بالحرائق التي تحرق فكر عادل، وسواء كان عادل حاضراً أو غائباً فإن مثل هذه الهواجس والأفكار التي تطارده تبقى معه جنباً إلى جنب في حلّه وترحاله، وفي هذا العنوان يجسد مفهوم الخيبة الذي يطارد السجين الذي قضى أغلب حياته في عالم مظلم لا حرية فيه.

أمّا القسم الثالث المعنون بـ**"هوامش أيامنا الحزينة"**، نجد فيه إشارات أيضاً للعنوان الداخلي الأول "الدهليز"، مثل ما ورد على لسان عادل الخالدي:" ومثلما يقود الكبش والغنم، كان رضوان أولنا الذي يدخل الدهليز "[26]، وكذا حديث العطيوي للمساجين: "هذا الدهليز، والموت بعدكم ما شفتوه "[27]، وورد على لسان عادل أيضا : "غادرنا الساحة أولاً، ثم الدهليز المسقوف "[28].

فلا وجود لأيّة إشارة لعنوان القسم الثالث من الرواية، فما نجده هو مجرد حديث لعادل الخالدي عن معاناته في السجون، والسنين العشر التي قضاها في سجون عمورية، وهو يدلّ على حسرة عادل الخالدي على الأيام التي قضاها في سجون عمورية، وهذه الأيام الحزينة بالنسبة له مجرد أيام هامشية لا قيمة لها في حياته، وليست إلا مأساة في نفسية عادل والناس المظلومين على هذه الأرض.

فالعناوين الثلاثة جاءت حلقة وصل للعنوان الرئيس: **الآن...هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى**. فنجد في الرواية بعض الإشارات التي تدلّ عليه، من خلال ما ورد على لسان طالع العريفي:" في لحظات كثيرة كنت

متأكداً أنني لن أتخطى هذه الغرفة، ولن تتاح لهم الفرصة مرة أخرى، لكي يمارسوا عليّ أي نوع من العذاب، إلا إذا كانوا يمارسون التعذيب أيضاً مع الموتى! كنت متأكداً أن هنا، والآن سوف تكون النهاية "[29].

"ومع ذلك يجب أن تعرفوا، يا أيها الناس: آدم من ضلعه خلق المرأة، لأنها وجهه الآخر، خياله في الظل والمرأة، أما نحن، أبناء المتوسط في هذه المرحلة، وفي محاولة لأن نقلد أبانا القديم، فلم نستطع أن نخلق سوى الجلاد، فتحنا له الطريق وتلقيناه بكل الرضا "[30].

" لا أعتقد أن في العالم مكاناً يحوي عدداً من السجون كما هو الحال في ضفتي المتوسط الشرقية والجنوبية، ولا أعتقد أن في العالم عدداً من السجناء كما في هاتين الضفتين، وثورة الباستيل التي تجاوزت فرنسا لتعم العالم كله، يبدو أنها لم تصل بعد، ولم تصل أصداؤها وأخبارها أيضاً إلى هذه البقعة من الأرض، وإلا كيف نفسّر السجون التي تشاد يوماً بعد يوم "[31]، " هذا الجانب من حياة السجن لم يحن الوقت لأن يخاض فيه أو لأن تكشف أسراره، فما دامت سجون المتوسط تزخر بهذه الأعداد الهائلة من البشر، فيجب أن تكون لهؤلاء الفرصة والقدرة للدفاع "[32].

5 ـ دلالة تركيبة العنوان " الآن ... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى " :

أمّا **تركيبة العنوان**، فقد جاءت منسجمة متناسقة مع محتوى متن الرواية، ودالة على الواقع السياسي الذي تدور حوله أحداث الرواية في تلك الرقعة العربية الممتدة من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى أعماق الصحراء في موران، حيث دلّت ألفاظه على ذلك الواقع السياسي القاسي الذي تتميز به البلدان العربية الممتدة من شرق البحر المتوسط حتى أعماق الصحراء في موران، القائم على الظلم والطغيان في حق ناس أبرياء كانت غايتهم تغيير هذه الأوضاع وفقط، والذي وللأسف الشديد مازال مستمراً رغم تقدم الزمان وتطوّر الوعي الإنساني، فالأمم الأخرى تسعى بدأب إلى تأمين حياة كريمة لشعوبها تقوم على أسس العدالة والحرية والمساواة، في حين أن حكام البلدان العربية المعنية في هذا النص ما زالوا يكدون أنفسهم ببناء السجون، ويملؤونها بآلاف مؤلفة من الأحرار والتقدميين[33]. ويرى صالح إبراهيم أنّه عند قراءة " عنوان الآن...هنا بعمق، نجد أنّ الروائي قد فسّره بشرق المتوسط مرة أخرى! وهو يعني الوطن العربي "[34].

وقد وضع الروائي هذا **العنوان: " الآن...هنا " أو " شرق المتوسط مرة أخرى "** ليؤكد من جديد المأساة التي تحدّث عنها في رواية "شرق المتوسط" الصادرة عام 1975م، وليست هذه الرواية إلا شاهداً حاضراً على عصر الجرائم والظلم الذي يرتكب بحق الناس الشرفاء الأحرار. فأحداث هذه الرواية جرت في دول شرق المتوسط، وليست هناك تبرئة لأية دولة عربية من شرق المتوسط وحتى أعماق صحراء موران من هذه التهمة التي جردت الإنسان من الحرية ومن حقه في معتقداته وأفكاره، و**"شرق المتوسط مرة أخرى"** دلالة على أن هذا الظلم مستمر ولن يتوقف، فبعد عشرين سنة من رواية **"شرق المتوسط"** لعبد الرحمن منيف، ما زالت السجون كما هي تكتظ بالسجناء والمحرومين من الحرية، ومازالت عجلة الظلم والقهر مستمرة في طحن الديمقراطية التي نادى بها الروائي، إذ بعد هذه الرواية التي صدرت عام 1991م وحتى **الآن**، تفاقمت المأساة

أكثر لتروي قصة شرق المتوسط، السلطة الظالمة التي لن يتوقف ظلمها وقهرها لأبنائها حتى تنهض الشعوب العربية من سباتها، وتوقف هذه المهزلة التي استبعدت الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا.

6 ـ الخـاتمة :

بعد قراءتنا السيميائية للعنوان في رواية الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها في الآتي :

. يعدّ **العنوان** عنصرا جوهريا في تأسيس حركية النص، كونه يشكّل عتبة النص التي يمكن أن نلج من خلالها عالمه.

ـ عنوان الرواية: **" الآن...هنا "** يشير إلى أن الظلم يجري في كل الأزمنة والأمكنة في العالم العربي، **"الآن"** ظرف زمني يدلّ على وقت معين، وأحداث الرواية تجري **الآن** في هذا الوقت المظلم، و**"هنا"** ظرف مكاني يدلّ على مكان معيّن في شرق المتوسط قيّدت فيه الحرية ورميته في غياهب السجون.

. العنوان **" الآن...هنا "** يجمع بين ظلم الزمان وظلم المكان في شرق المتوسط، فزمننا زمن الاستعباد والظلم، ومكاننا مكان السجون والزنازين والدهاليز، فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان والزمان، جاء واضحاً سهل الاكتشاف، وقد حقق وظيفته من خلال الولوج من العالم الخارجي للنص إلى عالمه الداخلي.

الهوامش :

[1] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير. قراءة نقدية لنموذج لساني، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1982، ص 75.

[2] المرجع نفسه، ص 79.

[3] ينظر: حسن الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس، 1985 ، ص10.

[4] ينظر: خالد حسين حسين، في نظرية العنوان ـ مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، د.ط ، 2007، ص 61.

[5] Gérard Genette,Seuils,Collection Poétique aux ed du Seuil, Paris, 1987, p : 54.

[6] جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد: 03، سنة: 1997، ص 107.

[7] خالد حسين حسين، في نظرية العنوان ـ مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية،م.س، ص 77.

[8] ينظر: محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1998، ص15.

[9] ينظر: جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع ، عمان، ط1، 2011، صص: 65 – 66.

[10] أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: مفيد قنيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص 62.

[11] بسام قطوس، سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط1، 2001، ص: 33 .

[12] ينظر: عامر رضا، سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج: 07، ع: 02، س: 2014، جامعة غرداية، الجزائر، صص: 90 – 91 .

[13] شعيب حليفي، النص الموازي في الرواية ـ استراتيجية العنوان، الكرمل، ع46، س: 1992، ص88.

[14] ينظر: حسن محمد عبد الناصر، سيميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية، د.ط، القاهرة، مصر، 2002، ص 07.

[15] محمد فكري الجزّار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1998، ص45.

[16] الطاهر روابنية، الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة ـ دراسة في المبنى والمعنى، مجلة المساءلة، ع: 01، س: 1991، ص15

[17] رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق ـ رواية نوّار اللوز أنموذجا، أطروحة دكتوراه ، إشراف: واسيني الأعرج وعبد الله بن حلي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر ، 1995، ص162 .

[18] ينظر: خالد حسين حسين، في نظرية العنوان ـ مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، م.س، صص: 78 – 79.

[19] ينظر: الجزار محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1998، ص 56.

[20] ذويبي خثير الزبير، سيميولوجيا النص السردي، مقاربة سيميائية لرواية الفراشات والغيلان، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط1، 2006، ص8 .

[21] نجاة عرب الشعبة، خصائص البناء في كليلة ودمنة، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.startimes.com، منتديات ستار تايمز، يوم: 10 / 06 / 2008 ، ص 02 .

[22] الطاهر روابنية، الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة ـ دراسة في المبنى والمعنى، مجلة المساءلة،م.س، ص15.

[23] عبد الرحمن منيف، رواية الآن ... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط7، 2013، ص131.

[24] الرواية، ص163.

[25] الرواية، ص170.

[26] الرواية، ص348.

[27] الرواية، ص 364.

[28] الرواية، ص466.

[29] الرواية، ص204.

[30] الرواية، ص287- 288.

[31] الرواية، ص310.

[32] الرواية، ص332.

[33] ينظر: أحمد مرشد، المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف، دار القلم العربي للنشر، حلب، سوريا، ط1، 1998، ص39.

[34] إبراهيم صالح، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص49.

قائمة المصادر والمراجع :

1 . عبد الرحمن منيف، رواية الآن ... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط7، 2013 .

2 . عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير. قراءة نقدية لنموذج لساني، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1982.

3 . حسن الواد، في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر، تونس، 1985.

4 . خالد حسين حسين، في نظرية العنوان ـ مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، د.ط، دمشق، سوريا، 2007.

5 - Gérard Genette,Seuils,Collection Poétique aux ed du Seuil, Paris, 1987.

6 ـ جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، المجلد 25، العدد: 03، سنة: 1997.

7 . محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، د.ط، 1998، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر .

8 ـ جميل حمداوي، السيميولوجيا بين النظرية والتطبيق، مطبعة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2011.

9 . أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح: مفيد قنيحة، ط1، 1981، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

10 ـ بسام قطوس، سيمياء العنوان، ط1، 2001، وزارة الثقافة، عمان، الأردن.

11 . عامر رضا، سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج: 07، ع: 02، س: 2014، جامعة غرداية، الجزائر.

12 ـ شعيب حليفي، النص الموازي في الرواية ـ استراتيجية العنوان، الكرمل، ع46، س: 1992.

13 ـ حسن محمد عبد الناصر، سيميوطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية، د.ط، القاهرة، مصر، 2002.

14 ـ محمد فكري الجزّار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 1998.

15 ـ الطاهر روابنية، الفضاء الروائي في الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة ـ دراسة في المبنى والمعنى، مجلة المساءلة، ع: 01، س: 1991.

16 ـ رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق ـ رواية نوّار اللوز أنموذجا، أطروحة دكتوراه ، إشراف: واسيني الأعرج وعبد الله بن حلي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر ، 1995.

17 ـ الجزار مجمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1998.

18 ـ ذويبي خثير الزبير، سيميولوجيا النص السردي، مقاربة سيميائية لرواية الفراشات والغيلان، رابطة أهل القلم، سطيف، الجزائر، ط1، 2006.

19 ـ نجاة عرب الشعبة، خصائص البناء في كليلة ودمنة، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: www.startimes.com، منتديات ستار تايمز، يوم : 10 / 06 / 2008 .

20 ـ أحمد مرشد، المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف، دار القلم العربي للنشر، حلب، سوريا، ط1، 1998.

21 ـ إبراهيم صالح، الفضاء ولغة السرد في روايات عبدالرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .